

كلمة البروفسور سليم دكاّش اليسوعيّ، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، عند توقيع "مذكّرة تفاهم" بين الجامعة الأميركيّة في بيروت وجامعة القديس يوسف في بيروت، يوم الثلاثاء الواقع فيه ١٦ كانون الثاني (يناير) ٢٠١٨، في الساعة السادسة والنصف مساءً، في "ماركاند هاوس" في الجامعة الأميركيّة.

فخامة رئيس الجمهوريّة ممثلاً بمعالي وزير التربية والتعليم العالي الأستاذ مروان حماده،
حضرة رئيس مجلس أمناء الجامعة الأميركيّة وأعضاء المجلس،
حضرة رئيس الجامعة الأميركيّة في بيروت،
حضرة أعضاء المجلس الاستراتيجي لجامعة القديس يوسف في بيروت،
حضرات نواب الرئيسين، والعمداء، والمدراء، والأساتذة،
أيّها الأصدقاء، سيّداتي سادتي،

خلال الحرب العالميّة الأولى، ولمئة سنة خلت، قال الرئيس المؤسس للجامعة الأميركيّة في بيروت : "من كان يحلم ولو للحظة أن يكون بيننا هذه المجموعة من الآباء اليسوعيّين، خصوصاً الفرنسيّين منهم بيننا يقطنون في "البوست هاوس"؟ وكان ذلك إشارة إلى التهجير القسري لأهل الجامعة اليسوعيّة آنذاك وقد وجدوا ملجأً في حرّم الجامعة الأميركيّة بعد سنوات طويلة من الصراع بين الكاثوليك والإنجيليّين. وأقول اليوم من كان يحلم بأن نجتمع ها هنا في قلب الجامعة الأميركيّة، وفي "الماركاند هاوس" بالذات، أي في بيت رئيس الجامعة للتوقيع سوّيّة على "مذكّرة التفاهم" هذه التي هي أكثر وأبلغ من مذكّرة والتي تفتح الباب لعمل عظيم بين الجامعة الأميركيّة في بيروت والجامعة اليسوعيّة البيروتيّة الأصل والمكان.

أبيها الأصدقاء،

لا يمرُّ أسبوعٌ في عملنا الجامعي إلاَّ ونوقِّعُ إتِّفاقًا من هنا ومن هنالك، فنعتزُّ بأنَّ سجِّلَ جامعتنا مليءٌ بالاتِّفاقات مع الجامعات الأخرى وأنَّ لمؤسَّساتنا بُعْدًا دوليًّا فريدًا من نوعه يدخل ما نسمِّيه عملة التعليم العالي وقدرته على أن يستقبل طلابًا وأساتذة من الأقاليم وأن يمنح الشهادات ذات الجودة والقيمة العالية والعالمية والتي تؤهِّل من يحملها أن يعمل على المساحة الكونيَّة من دون إشكال. إلاَّ أنَّ هذه المذكرة اليوم، وقد تحدَّثَ الرئيس فضلو عن تفاصيل محتواها ومحدوديَّة مساحتها، لها نكهتها الخاصَّة لأنَّ فيها بعض الخصويَّة والجماليَّة المستحبَّة.

فهذه المعاهدة وإن طال انتظارها إنَّما تأتي من تاريخ طويل، هو تاريخ حملناه معًا، حتى ولو لم نصنعه سوِّيَّة ضمن شراكة مجدِّدة، إلاَّ أنَّ الواقع يقول إنَّ المتخرِّجين من جامعتنا، أولئك الذين حصلوا على المهارات والكفاءات من مقاعد الدراسة، إنَّما عملوا على إنماء هذه البلاد وغيرها من البلدان بروح من العطاء وبذل الذات وتجاوز المصاعب والعقبات. هذا التاريخ الطويل لا أريد أن أراه صراعًا بين مؤسَّستين أو بين نهجين تربويِّين مختلفي الطرق والأساليب واللُّغة، بل إنَّنا نرى فيه شيئًا من التكامل الذي عاد بالفائدة على المؤسَّستين بالذات وكذلك على المجتمع اللبناني والعربيِّ والشرقيِّ، لأنَّ الخير الذي أتى على يد الجامعتين إنَّما تجاوز حدود بيروت ليصل إلى مختلف بقاع الشرق وتجاوز حدودها كذلك. وهذا التاريخ بالذات، الموسوم بذكرى المئة والخمسين سنة لتأسيس الجامعة الأميركيَّة والمئة والثلاثة وأربعين عامًا للجامعة اليسوعيَّة، هو الذي ينادينا اليوم، بما فيه من إنجازات وربِّما من إخفاقات، لمزيد من

الوعي لمسؤولياتنا حيال التعليم الجامعيّ العام في لبنان ليكون حاملاً رسالة هي رسالة الجودة والتربية المتكاملة، والإنسانية والمواطنة والمهنية فيستمرّ هذا التعليم عاملاً على صقل رأسمال لبنان والعالم العربيّ، الذي لا بعده رأسمال إلا وهو رأسمال الموارد البشريّة الكفوءة القادرة على تطوير صناعة المعرفة واقتصاد المعرفة، ووضع هذه المعرفة في خدمة نموّ الشعوب والمجتمعات.

وهذه النكهة الخاصّة في توقيع هذه المذكّرة لا بل الآتية من المذكّرة بالذات، تأتي منك مباشرة حضرة الرئيس فضلو خوري، الأخ والصديق، لأنّك أردت أن توثّق العلاقات بين الجامعتين لا من عاطفة معيّنة أو مصلحة آنيّة بل ضمن رؤية متكاملة تحدّثنا فيها أكثر من مرّة خلال لقاءاتنا. فلا يجوز، كما تقول، أن نكون أسرى واقع جديد صار فيه تأسيس الجامعات في لبنان خاضعاً لمنطق النظام الإقتصاديّ الليبراليّ، بل إنّه من الضروري أن تكون للمؤسّسات الجامعيّة التي تراكمت لديها خبرات الماضي وقيم الرسالة التربويّة أن يكون لديها الجرأة في تسلّم زمام المبادرة للعمل معاً، من ضمن روحيّة التضامن والمعاهدة والتحالف، من أجل أن يبقى وجه التعليم الجامعيّ في لبنان، وهو وجه المؤسّسات التعليميّة الجامعيّة التي لا تبغي ربحاً، وجه المؤسّسة العاملة على نجاح الطالب والتي لا همّ لها سوى أنّ الشهادة التي تمنحها هي موسومة بالجودة والامتياز والتي لا هدف لها إلاّ تكوين شخصيّة الطالب والمواطن المنفتح على صنّوه وعلى المختلف عنه ديناً أو ثقافة أو لوناً.

إنّها المؤسّسات التي لا وجهة لها سوى إعلاء شأن البحث العلميّ الأساسيّ والعمليّ الضروريّ للتعليم فيلعب لبنان ومؤسّساتنا الجامعيّة الدور الرياديّ في تقوية عالم المعرفة

واقصاها. وأودّ أن أضيف أنّ روحية هذا التحالف لا تقتصر على جامعينا بل إنّها مفتوحة على أولئك الذين يريدون الإسهام في تقوية جسم التعليم الجامعيّ على قواعد العطاء والجديّة واحترام الأمانة والشرعة التربويّة البنائيّة، والتي تميّز بين العمل والمجاهدة في سبيل الحقّ والحقوق وبين التكفير والهمجيّة والبربريّة في النظرة إلى الآخر. في هذا المضمار لا بدّ أن نعمل للموازنة بين البحث العلميّ في مجال العلوم الطبيّة والبيولوجيّة والتكنولوجيا وبين البحث العلميّ في مجال الآداب والعلوم الإنسانيّة وهو كان ولا يزال من اختصاص رسالة جامعينا، وكم نحن بحاجة إلى تعزيز هذا البحث في وقت نسأل ذواتنا عن أيّ إنسان نريد أن نكون وأن نربّي وعن أيّ مجتمع نريد أن نشكّل ولماذا هذا العنف كلّهُ في مجتمعاتنا، وفي وقت أصبحت فيه العصبيّة التي فينا أخطر بكثير من الأميّة الهجائيّة، وهي عصبيّة رأيناها ونراها تقضي على الأخضر واليابس وعلى الهويّات المنفتحة والأوطان القائمة على التعدديّة في تكوينها، وهذه مجالات لا بدّ أن نكون جريئين في طرق أبوابها والسعي إلى فتح آفاق جديدة للإجابة عن الأسئلة التي تهدّد الواقع والمصير.

سيّداتي سادتي،

عندما نصل إلى القلم لتوقيع معاهدة وعلى وجه الخصوص هذه المذكرّة التي تجمع بين مؤسّستينا، وبين قلوب تخفق أمام هذا الحدث الهام، فإنّما ننظر شاكرين إلى أولئك الذين عملوا واللواتي عملن جاهدين في مراجعة النصّ والتدقيق فيه ليكون له الشكل المثاليّ الذي نحن بحاجة إليه. فشكري يتوجّه إلى البروفسور محمّد حراجلي والبروفسور هلا محتسب من الجامعة الأميركيّة، وإلى البروفسور دولّا سركيس من جامعتنا وكذلك

إلى البروفسور لارا كرم بستاني لمراجعتها القانونية لهذا النصّ وكذلك إلى الجنود المخفيين والجنديّات المخفيّات الذين أعدّوا لهذا الاحتفال، ولهذه الساعة، من أهل الإدارة والإعلام والتواصل، ممتنّين لفخامة رئيس الجمهوريّة أنّه كلّّف معالي الوزير مروان حماده، صديق الجامعتين وحتى وإن كان من قدامى الحقوق في اليسوعيّة، أن يمثّله في هذا الاحتفال.

وإن أردت الختام، فإنّما أذكر معكم وأمامكم هذه الكلمة للأب جان دوكربيه الذي أرسى قواعد الإدارة الحديثة لجامعتنا في السنة ١٩٧٥: إنّ ما أسّس لعمل الجامعة الأكاديمي ولنجاحها في هذا المضمار هو تلك الحرّيّة التي تميّز بها منذ انطلاقها. فلا بدّ أن نحافظ عليها أمام الغلواء أكانت طائفية أم قومية أو رأسمالية. ولقد قال دانييل بلس كلامًا مشابهاً لهذا التصريح مباني عند تأسيس الجامعة في رأس بيروت في السنة ١٨٨٠. فهذه الحرّيّة تبقى اليوم أساسًا لعملنا وكلّ ما بين أيدينا من قوّة وموارد وكلّ علاقاتنا وحتى هذه المعاهدة اليوم إنّما تدفعنا إلى تربية الأجيال على حرّيّة الفكر والكلمة بحيث إنّ إبداع العالم الجديد في لبنان والعالم العربيّ هو أمانة بين أيدينا وهو في صلب رسالتنا. لقد أصبحت المذكرة واقعًا، فالكرة أصبحت اليوم بين أيدي اللاعبين الباحثين بين الأساتذة في جامعتنا لتحوّل النوايا إلى أفعال وإلى تراكم معرفة ومحبة وثقة تؤسّس لتاريخ جديد ينضم إلى تاريخ سابق. فلنبن معًا هذا التاريخ من أجل أن نجدّد شباب خدمتنا ورسالتنا.